﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾ [التحريم: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ مِن بيان أحوال المعذَّبين إلى تعيين المعذَّبين

بَعدَ أن بَيَّنت الآيات السابقة أنَّ مَن يُقَصِّر في حَقِّ نفسه وأهله يُعَرِّض نَفسَه لعذاب النّار؛ انتقل السّياقُ الإلهيُّ إلى تَصويرِ مشهدٍ مِن مشاهِدِ هذا العذاب؛ لزيادة التَّخويف والتَّنفير، خُصوصًا مِن عواقِبِ التَّقصير؛ فقال سُبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، فَبَيَّن سُبحانه ما تَقولُه الملائِكَةُ لأهل النّار عندما يُعرَضون على النّار التي سيكونون حَطبًا ووقودًا لها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعۡتَذِرُواْ﴾: (عذر) أصلٌ يَدُلُّ على اعتراض ما يحول دون المعتاد من نفاذٍ أو سيرٍ أو رؤية[2]، والاعتِذارُ مَصدَرُ (اعتَذَرَ)، وأصلُهُ مِن العُذرِ، وهو الحُجَّةُ التي يُعتَذَرُ بها، وكُلُّ ما يَرفَعُ اللَّومَ فهو عُذرٌ، يُقال: عَذَرتُهُ عُذرًا، أي: رَفَعتُ عَنهُ اللَّومَ، واعتَذَرَ مِن ذَنبِهِ، وتَعَذَّرَ؛ إذا تَنَصَّلَ مِنه، واحتَجَّ لِنَفْسِهِ، قال تعالى: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: 94]، والنّاسُ في الاعتذار عن الذَّنب على ثلاثة أوجه: مَن أنكر، أو برَّر، أو اعترف، وتاب، فالتَّوبةُ أرفَعُها، وكُلُّ توبةٍ عُذرٌ، وليس كُلُّ عُذرٍ توبَةً، واعْتَذَرَ أيضًا بِمعنى أعْذَرَ، أي صارَ ذا عُذرٍ، ويُقال: اعْتَذَرَ إلى فُلانٍ، فَعَذَرَهُ، أيْ: أزالَ ما كان في نَفْسِهِ

(1) الرّازي، تفسير الفخر الرّازي: 30/ 572، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 366، 367، والخطيب، التَّفسير القرآني: 14/ 1032.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عذر).

عليه في الحَقيقَةِ أو في الظّاهِرِ[1]، والاعتذارُ هُنا هو التَّوبة، والتَّوبةُ غَيرُ مقبولةٍ بعد الدُّخول في النّار[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قطعُ الرَّجاء مِن قلوبِ الكافرين

بيَّنتِ الآيةُ الكريمةُ ما يُقال للكافرين يومَ القيامة مِن توبيخٍ وتأنيبٍ، فيُقالُ لهم: يا مَن كَفَرتُم باللّه، لا تعتذروا، فهذا يومُ الحساب، لا يُقبَل فيه عذرٌ، فقد فاتَ وقتُ قَبولِ الاعتِذارِ، وأنتم اليوم تحصدون نتيجةَ أفعالِكم التي ارتكبتُموها في الدُّنيا مِن كُفرٍ ومعصية[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ النِّداء بأداة (يا):

الكافرُ بعيدٌ عن رحمةِ الله تعالى باختيارِه الكُفر على الإيمان

افتتحتِ الآيةُ الكريمةُ خطابَ الكافرين بنداءٍ يَحمِلُ في طَيّاته التَّبكيتَ والتَّحسيرَ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقد استُعمِلت أداةُ النِّداء (يا) التي تُفيد البُعد، فَهُم لِحَقارَتِهم وبُعدِهم عَن الرَّحمة والخير صاروا في منزلةِ البعيد الذي لا يُرغَبُ في الاقتراب منه، ولا يُؤبَهُ له، وهذا الأسلوبُ يعكس نوعًا مِن العذاب النَّفسيِّ، يُضاف إلى العذاب الحِسِّيِّ بالنّار[4].

بلاغة المجاز بالحذف:

تصويرُ هَولِ الموقفِ بحذف القول أشدُّ في مباغتةِ المخاطَب

جملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هي مقولٌ لقولٍ محذوفٍ، حُذِفَ إيجازًا واعتمادًا على فَهْمِ السّامع مِن سياق الحال؛ إذ المقامُ مقامُ تهديدٍ وتبكيتٍ، فكان الحذفُ أبلغَ في تصوير الهَول، وإنَّما يُقال لهم ذلك؛ إذ تدفعُهم الملائكةُ إلى الجحيم دفعًا؛ امتثالًا لأمر

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عذر)، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 30، والكفويُّ، الكليّات، ص: 308.

(2) الرّازي، تفسير الفخر الرّازي: 30/ 572.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 197، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 168، والبقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 199، والسّعدي، تفسير السعدي، ص: 874.

(4) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2161.

رَبِّهم، فيُلقى في روعهم أنَّه لا سبيل للاعتذار، وقد انقطعت علائقُ الرَّجاء، وظَهَرَ للعيان أنَّ الجزاءَ مَحضُ ما كَسَبَتْهُ أيديهِم مِن الكُفر والعِصيان[1].

غرضُ التَّعبير بالاسم الموصول:

بيانُ عِلَّة استحقاقِ الكافرين المصيرَ المشؤومَ

آثرَ النَّظمُ الكَريمُ التَّعبيرَ بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؛ للتَّذكير بسبب استحقاقِهم المصيرَ المشؤومَ؛ إذْ لم يُذكَروا باسمٍ مُجرَّدٍ، بل وُصفوا بكُفرِهم ليُقالَ لهم يوم القيامة: أنتم مَن وردَ النّار جزاءً على كُفرِكم، وتماديكُم في التَّعدّي على حدود الله، وتقصيرِكم في حقوق أنفسِكم وأهليكم، فيكون في هذا التَّعبير بيانٌ للجرم وتقريرٌ للعُقوبة، وتنبيهٌ على وجه الاستحقاق بتعليل صلة الموصول بذِكر الكفر[2].

نُكتةُ حَذفِ مُتعلَّقِ فِعل الكُفْرِ:

تعميمُ ذمِّ الكافرين وتوسيعُ دائرةِ توبيخِهم

حُذِف مُتعلَّق فِعلِ الكُفرِ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لتعميم الذَّمِّ وتوسيعِ التَّوبيخ؛ ليشملَ كُلَّ صوَر الكُفر وأنواعه، سواء كان كُفرًا بالله، أم برُسُله، أم بآياته، أم بشَرعِه؛ إذ المقامُ مقامُ تهويلٍ وتفظيعٍ، فالحذفُ مُشعِرٌ بأنَّ كُفرَهم مستغرقٌ لِكُلِّ ما يجبُ الإيمان به، مِمّا يَدُلُّ على شِدَّة جُرمهم.

نُكتة التَّعبير بصيغة الماضي:

أهلُ النّار أُشرِبَت قلوبُهم الكفر، فاستحقّوا التَّقريع

أوثِرَ التَّعبيرُ بصيغة الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾؛ ليدُلَّ على أنَّ الكُفْرَ قد استقرَّ، واستحكَمَ في قلوبهم، فهو وصفٌ راسِخٌ، وجِنايةٌ قديمةٌ، تمكَّنت مِن نفوسهم، واستفحلَ شرُّها، فصاروا بها مستوجبين للتَّوبيخ والعذاب؛ إذ الفعلُ الماضي يُفيد تحقُّقَ الوقوع[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 8/ 268، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 352.
(2) النَّسفي، التَّيسير في التَّفسير: 14/ 492.
(3) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2161.

دلالةُ النَّهي وغرضُه:

التَّوبيخُ والتَّيئيسُ؛ فلا عُذْرَ مسموعٌ لأصحاب النّار

قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، نهيٌ خَرَج مَخرَجَ التَّوبيخ والتَّيئيس؛ إذ لا فائدة في اعتذارِهم، وقد انقطعَ وقتُ القبول، وزالَ نفعُ التَّبرير، فالمعنى: (لا تعتذروا، فإنَّ اعتذارَكُم مَردودٌ، وعُذركم غير مقبول، بل لا عُذرَ لكم أصلًا)، وهذا النَّهيُ يحملُ في طيّاته التَّقريعَ والتَّنكيلَ، ويُشعِرُهم بذُلِّ الخيبة والهوان؛ جزاءً وفاقًا لما كانوا عليه مِن كفرٍ وإجرام، فالنَّهيُ عن الاعتذارِ؛ لأنَّه لا عُذْرَ لهم، أو العُذرُ لا يَنفَعُهم[1].

غرضُ حذف معمول فعل ﴿تَعۡتَذِرُواْ﴾:

كلُّ ما صدرَ عن الكافر فغيرُ مقبولٍ الاعتذارُ عنه

حُذِف مَعمولُ الفعل في قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾، فلم يقل: (لا تعتذروا عن كفركم)؛ للإيماء إلى التَّعميم، أي: لا تعتذروا عن شيءٍ مِن أعمالكم، لا عَن كُفرِكم، ولا عَن معاصيكم، ولا عَن تقصيركم في حقِّ أنفُسِكم وأهليكم؛ فكُلُّ عذرٍ مردودٌ، وكُلُّ توبةٍ حينئذٍ غير مقبولة، فكان في حذفِ المعمول إشارةٌ إلى شُمول النَّهي لِكُلِّ صوَرِ الاعتذار، وتأكيدٌ على أنَّ البابَ قد أُغلِق، وأنَّ ما مضَى لا يُجبَرُ بالاعتذارِ بعد فواتِ الأوان[2].

دلالةُ صيغةِ الافتعالِ في الفعل:

الإشارةُ إلى أنَّه اذا كان الاعتذارُ المتكلَّف مردودًا، فمُطلق الاعتذار أولى بالرَّدِّ وعدمِ القبول

جاء الفعلُ بصيغة الافتعال ﴿تَعۡتَذِرُواْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؛ للدَّلالة على التَّكلُّف والمُبالغة في طلب المعذرة؛ إذْ صيغةُ الافتعال تُفيد بَذلَ الجُهد في استجلابِ القبول واسترضاءِ المخاطَب، فجاء النَّهي عن هذا اللَّون مِن الاعتذار؛ بيانًا لبُطلانه وسُقوطِه، فإذا كان الاعتذارُ المتكلَّف مردودًا؛ فمُطلق الاعتذار أولى بالرَّدِّ وعدم القبول؛ لِعَدَم نفعِه، ولِبُطلانِ أثَرِه يومَ لا ينفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت مِن قَبلُ[3].

(1) البيضاوي، أنوار التَّنزيل: 5/ 225، وأبو حيّان، البحر المُحيط: 10/ 213، والطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 477.

(2) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2162.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 199، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 367.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ للعهد الحضوريِّ، والمقصودُ يوم القيامة، ذلك اليوم المشهود العظيم، المعروف في الأذهان بِعِظَم شأنه وهَولِ مَواقفه، فالتَّعبيرُ بـ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ مُعَرَّفًا بـ(أل) جاء ليُفيدَ التَّعيينَ والتَّنبيهَ على عِظَمِ المقام، وكأنَّ لا يومَ سِواهُ في الشِّدَّة والرَّهبة، وفيه إشعارٌ بأنَّ هذا القولَ يُقال لهم في ذلك اليوم العصيب على سبيل التَّوبيخ والتَّحقير، حين يُقطَع الرَّجاءُ، ويُغلَقُ بابُ العُذر[1].

لـفـظ (الـيـوم) يَجمَعُ الرَّهبةَ والهَولَ والتَّقريعَ والتَّوبيخَ

عِلَّةُ فَصْلِ قوله: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾:

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ على جهة الاستئناف البيانيِّ[2]، جاء جوابًا لِما يُقدَّر في النفس من تساؤلٍ: لِمَ لا يُقبل عُذرُهُم؟ فجاء البيانُ مُفحِمًا حاسمًا: (إنَّما تُجزون على ما اقترفتموه مِن الكفر والعصيان، لا تُعَذَّبون إلّا بما قَدَّمت أيديكم)، وفي هذا الفصلِ تحقيقٌ للعدل الإلهيِّ، وتقريرٌ لميزانِ الجزاء، وتفنيدٌ لِكُلِّ عُذرٍ متكلَّفٍ أو دعوى باطلةٍ، وفيه تعليلٌ للنَّهي عن الاعتذار.

تحقيقُ العدل الإلهيِّ، وتعليلُ ميزان الجزاء

بلاغةُ القصر ونوعُه وغَرَضُه:

أفادَت ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، قصْرَ الجزاءِ على مُطابقته؛ لِما كانوا يَعملونه في الدُّنيا، قصرَ قَلبٍ، أي: ردًّا على ما قد يُتوهَّمُ منهم مِن رغبةٍ في تخفيف العذاب، أو التِماسٍ لعذرٍ يُهَوِّنُ مِن العقوبة الَّتي شاهَدوها، فجاء التَّعبيرُ على سبيلِ الحسم، كأنَّهم في مقامِ مَن يطلب الرَّحمةَ أو التَّخفيفَ، فقيل لهم: (ليس لكم جزاءٌ إلّا على وفق أعمالكم، فلا ظُلْمَ ولا تجاوز، وإنَّما هو العدلُ المحضُ، بما كسبَتْ أيديكم)[3].

قصر الجزاء على مُطابقته لما كانوا يَعملونهُ في الدُّنيا

(1) القونوي، حاشية القونوي: 19/ 163، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 352.
(2) الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 28/ 299، ومحمَّد طيب إبراهيم، إعراب القرآن الكريم الميسر: 1/ 560.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 199، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 367.

دلالة التَّعبير بفعل ﴿تُجْزَوْنَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

مُكافأة الكافرين على أعمالهم متجدِّدةٌ كأعمالهم في الدُّنيا

مادَّة (الجزاء) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فيها معنى المكافأة والمقابلة، وهي تَدُلُّ على أنَّ ما يَنالهُ العبد مِن العذاب أو الثَّواب، إنَّما هو على قدر عمله، لا يزيد، ولا ينقص، فَمِن أجلِ كُفرِكُم وعُتوِّكُم وظُلمِكُم تَدخُلون النّار جزاءَ عملكم، وفي ذلك المعنى يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: 17][1]، وأتى الفعلُ بصيغة المضارع؛ لِما فيه من استحضار صورةِ الجزاء، وللدَّلالة على تجدُّدِه واستمراره.

دلالةُ التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾:

في التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾، في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للعموم، فجاء الموصولُ لإبهامها وتحقيرِها معًا؛ إشارةً إلى أنَّ جزاءَهُم يوم القيامة الهوانُ وسوءُ المصير.

نكتةُ ذِكر فِعل الكون:

أعمالُ الكافرين ليست أعراضًا عابرةً بل إصرارٌ دائمٌ

دخولُ فِعل الكون في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فيه إشارةٌ إلى أنَّ ما كانوا يفعلونه لم يكن مُجرَّد أفعالٍ عارضةٍ، بل كان حالًا راسخًا، ووصفًا ثابتًا، فهو مِن شيَمِهم وطِباعهم، لا ينفكُّ عنهم، فدلَّ التَّعبير بـ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على تَمَكُّنهم مِن المعصية، واستمرارِهم عليها، حتَّى صارت كالجِبلَّة والطَّبع المُستقِرِّ في نفوسهم، يستحِقّون عليها الجزاءَ العادل[2].

نُكتة حذف مُتعلَّق فعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

حُذِفَ مُتَعَلَّقُ فِعلِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ للإيماء إلى التَّعميم في معنى العمل؛ ليشملَ كُلَّ ما كانوا

(1) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 28/ 5950.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 199.

يَعملونهُ مِن كفرٍ ومَعاصٍ وآثامٍ، فكان في حذفِ المتعلَّق توسيعُ دائرةِ الذَّمِّ، وتأكيدُ أنَّ الجزاءَ لا يقتصرُ على عملٍ مخصوصٍ، بل هو على مجموعِ ما كانوا يَقترِفونَ مِن الشُّرور، وهو أبلغُ في التَّقريع، وأظهَرُ في بيانِ الاستحقاق[1].

توسيعُ دائرة الذَّمِّ، وتأكيد أنَّ الجزاء لا يقتصرُ على عملٍ مخصوص

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 5/ 302، والقنوجي، فتح البيان: 14/ 217، والشَّيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 427.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"